جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

صورة الذات بين السيّاب ونزار قبّاني
دراسة موازنة

اطروحة تقدَّمت بها

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة

(اللغة العربية وآدابها)

الطالبة ياسمين احمد علي العنبكي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

فاضل عبود التميمي

١٤٣٥هـ
ذو القَعدة

٢٠١٤م
أيلول

عبر الشعر ومنذ بداياتهِ عن قضايا الانسان ، كون الشاعر جزءاً من منظومة اجتماعية ، تحتم عليه الوقوف عند الكثير من اشكاليات الواقع .

وبما أَنَّ الشاعر جزء من تلك المنظومة وجدناه كثيراً ما يصور ذاتهِ من خلال الشعر فظهرت كثير من النماذج الشعرية معبرة عن صورة ذات صاحبهما ، وإِنْ كانت المعالجات سطحية لاترقى إلى مستوى النص الابداعي الحديث ، الذي اخذ يغور إلى اعماق الذات راسماً صورتهما ، فالذات اصبحت مصدراً مهماً من مصادر الصورة .

وهذا ما حتّم على الباحثة الوقوف عند شعري السيّاب ، وقبّاني من أجل الوقوف على صورة لذاتيهما ، فالنص الادبي يمكن أنْ يكون دالاً على نفسية صاحبهِ ، معبراً عن احوالها ، وهذا ما دعا إلى دراسة حياة الشاعرين ، إذ معلوم أَنَّ ربط النتاج الأدبي بسيرة صاحبهِ ليس بجديد في النقد ، بل تمتد جذوره إلى القرن التاسع عشر ، فالعلاقة جدلية بين النفس ، والنص الابداعي ، فنحن كي نقف على مقولات النص الادبي علينا اولاً أَنْ نتعرف على صفات المبدع النفسية والجسمانية ، وأَنْ فلم بالبيئة التي تؤثّر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[١]، في طبيعة الأدب وتلقيه ، وأوّل بيئة نقف عندها هي الأسرة التي : ((يتأثّر الطّفل بها من حيث نشأته الأولى وهي التي تكسبهُ مكونات شخصيّته الأساسيّة))[٢].

آثرت الباحثة في دراستها لصورة الذات عند الشاعرين ، أنْ تبدأ من تجارب الطفولة ، لما لها من أثر بارز في بناء شخصيتيهما[٣]، ويرى بعض النّقّاد أنّ الشعراء يتّجهون إلى صور الطّفولة ، لأنّها تمثّل زمن التعلّق بالأشخاص والأماكن[٤]، وهناك من يرى أنّ التّعلّق بتصوير مرحلة الطفولة يأتي من باب أنّهم _أي الشعراء_

(١) ينظر : الأمراض النفسيّة والعقليّة والاضطرابات السلوكيّة عند الأطفال : د. عبد المجيد الخليدي ، ود.كمال حسن وهبي، ط١ ، دار الفكر العربي، لبنان - بيروت ، ١٩٩٧م : ٣١ .
(٢) نفسه : ٣١ .
(٣) ينظر: صورة الذات وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي: ٤.
(٤) ينظر : الصورة الأدبيّة : مصطفى ناصف ، ط٢، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨١م : ٣٣.

((يمجدون حياة الفطرة ، والبداءة , ونقاوة القلب ، والسريرة))[١]، وهذا شيء لا يمكن إنكاره أو التغاضي منه .

وإذا ما عدنا إلى الشاعرَيْن بدر شاكر السيّاب ، ونزار قبّاني لوجدنا أنَّهما جعلا الطفولة رافدا مهمًّا من روافد رسم صور الذات ، وقد أكّد بعض النّقّاد أنَّ: ((الرجل عامة وليس الفنّان وحده حصيلة طفولته ، فكل ما يتعلّق بميوله وما يميّز خلقه ومزاجه يتشكّل في مرحلة الطفولة))[٢].

ومن خلال البحث والدراسة وجدت الباحثة أنّ صورة الذات عند الشاعرين قد تجاذبتها محاور ثلاثة : الأم ، والأب ، ومرابع الطفولة .

المحور الأوّل : الأمّ

ولـلأمِّ أثـرٌ بـارزٌ فـي حيـاة الشـاعرين ، إذ كـان لهـا الأثـر الواضـح فـي رسـم شخصيتيهما ، فهذا بدر شاكر السيّاب قد أدّت وفاة الأُمّ أثرًا ظاهراً وكبيراً في رسم صورةٍ لذاته ، ولكن بدوافع تختلف عمّا نجده عند نزار ، فالسيّاب الذي فقد أُمّه وهو في السادسة من عمره ، ممّا ولّد لديه شرخًا نفسيًّا عميقًا[٣]جعلنا نقف عند صورة لذاته صورة تلك الأم عبر مخيّلة مغلفة بالحزن الشفيف، تنفتح بشغفٍ كبير على حلم الحياة بالعودة إلى حنانها ، لقد بقيت تلك الصورة تنوء في ضمير بدر إلى آخر يوم في حياته ، فهو يستذكر أيّامه معها ، ليجعل من ذكراها نافذة يلج من خلالها إلى عالم الماضي الجميل ، والذي يمثل: ((الجنّة الضائعة في رؤيا السيّاب))[٤] ، ففي قصيدة " غريب على الخليج " نراه يعود بدورة الأسطوانة إلى عالمه الطفولي ، وإلى إمّه بالتحديد ، فهو يقول:

---

(١) الخيال : عاطف جودة نصر ، الهيأة المصرية للكتاب ، ١٩٨٤م : ٢٤٨ .
(٢) النرجسيّة في أدب نزار قبّاني : ٤٧
(٣) ينظر : مصادر دراسة الصورة في شعر السيّاب ، ايمان خليفة اسماعيل ظاهر ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى ، كلية التربية الاصمعي ، ٢٠١٠ : ١٤٧.
(٤) الفضاء الشعري عند بدر شاكر السيّاب : د. لطيف محمد حسن ، ط١، دار الزمان للنشر والتوزيع، ٢٠١١ : ٣١٣ .

هي وجه أُمي في الظلام

وصوتُها يتزلّقان مع الرؤى حتى أنام ،

وهي النخيل أخاف منه إذا إدلهَّم مع الغروب ،

فاكتظَّ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب

من الدروب ؛(١)

لقد ظلّ بدر يعيش ضمن عالمه الطفولي ، كلما حاصره الحاضر المرير ، فنراه يعود بذاكرته إلى صور مخزونة في اللاوعي ، فصورة الأمّ ، وصوتها اللذان تعوّد الشاعر عليهما طفلًا صغيرًا ، يعودان إلى زمن الحاضر ، من خلال لحظة استرجاع لذلك الماضي الذي اجتاح زمن القصيدة إلى الحد الذي نجد فيه هيمنة الماضي على الحاضر ، فقد أخذت أكثر صور السيّاب حيويتها من ذلك الماضي(٢) .

والاسترجاع لا يقف عند حدود وجه أُمّه ، بل نراه ينغمر بتصوير صفات أخرى للأمّ ، شكّلت بعدًا نفسيًّا عميقًا في الذات الشاعرة ، وهو صوتها المنطلق من ذاكرة الماضي البعيد ، ليسجل حضورًا فيه تخفيف عن معاناة الذات الشاعرة في حاضرها .

تنفتح الصورة الشعريّة عند السيّاب على أُسلوب يتميّز بألفاظ خاصّة ، تأخذ أبعادها من الموروث الشعبي ، والمحلي ، والأسطوري ، ومن صور الطبيعة(٣) ، ونحن نجد في أسطر السيّاب السابقة نجد حضورًا واضحًا للطبيعة ، متمثّلًا بالنخيل

---

(١) ديوان بدر شاكر السيّاب ، مج١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ : ٣١٨

(٢) ينظر : الفضاء الشعري عند السيّاب : ٣١١- ٣٢٨ .

(٣) ينظر : بدر شاكر السيّاب رائد الشعر الحرّ : عبد الجبّار داود البصري ، سلسلة الكتب الحديثة ، دار الجمهورية، بغداد ، ١٩٦٦ : ٣٧ .

الذي يشكّل صورة الحياة الريفيّة العراقية الجميلة[١]، كما أنّها برّزتْ الأسطورة ، التي شكّلت معينًا نهل منه السيّاب ، لأجل رسم صورة أُمّه وأحاديثها ، التي تحوّلت إلى نسقٍ جماليٍ وظّفه السيّاب أسطوريًّا .

وكما أعادته ذاكرته في " غريب على الخليج " ، وهو في غربته إلى وجه أُمّه وصوتها ، فإنّنا نراه في قصيدة " الباب تقرعه الرياح " ، وهو في أحلك ظروف المرض قسوة ، يتمنى أنْ ترجع أُمّه ليرى وجهها ، الذي شكّل قاسمًا مشتركًا في أكثر من صورة ، فهو يقول :

أمّاهُ ليتكِ ترجعين

شبحًا وكيف أخاف منه ، وما أمحت رغم السنين

قسمات وجهكِ من حياتي

أينَ أنتِ ؟ أَتسمعين ؟(٢)

ونحن نحاول أنْ نقف على صورة لذات السيّاب ، لابدّ أنْ نقف أولاً عند عنوان القصيدة " الباب تقرعه الرّياح " ، فالعنوان هو بنية صغرى تشير الى بنية كبرى " النص " ، وهو الثريا [٣]، وهو أوّل الطريق أمام المتلقي لفهم النص وتحليله واكتشاف أغواره وأغوار منشئه ؛ لأنّ المنشئ يجعل العنوان إشارة دلاليّة محملة مشحونة يمكن للقارئ أو المتلقي الوقوف عندها لتحليل النص ، وبالتالي يمكن له الوقوف على نفسيّة المنشئ ، فالعنوان:((يحدد القصيدة بمعنى أنّه يسميها ويخلق أجواءها النصيّة والتناصيّة عبر سياقها الداخلي والخارجي ، ومن ثم فالعناوين ليست

(١) ينظر : حول دور البيئة في رسم صور السيّاب : بدر شاكر السيّاب هويّة الشاعر العراقي : ناصر حجّاج،ط١، نشر وتوزيع العارف للمطبوعات ،بيروت - لبنان ، ٢٠١٢ : ١٠٨ – ١٢٠ ، وينظر : لغة الشعر بين جيلين: إبراهيم السامرائي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت .

(٢) الديوان ، مج١: ٦١٦.

(٣) ينظر : ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي : محمود عبد الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٥ : ١٠ .

سـوى رسـائل مسـكوكة مشـحونة بعلامـات دالـة تعكـس رؤيـة للعـالم ذات طبيعـة إيجابية))[١] ، إلّا أنَّ العنوان لايكون مفتاحًا للدخول إلى عالم النص فحسب[٢] ،بل هو دالة مستقلة ، فهو لم يعد: ((عتبة تقتحم منها أغوار النص وفضاءه الرمزي الدلالي، بل يصبح بنية دلالية مستقلة لها اشتغالها الدلالي بأبعادها المختلفة ، ويصبح العنوان الذي ينماز بالفقر اللغوي في أغلب حالاته متسللّا من الذاكرة السطحية إلى العميقة لتأليف معنى معيّن))[٣]، فالعنوان يرتبط مع النص من خلال علاقة اتصال وانفصال ، علاقة اتصال لأنّه وضع من أجل النص ، وعلاقة انفصال لأنّه أصبح علاقة لها سماتها[٤].

والعنوان " الباب تقرعه الرّياح " شكّل ثيمة تنفتح على بعد نفسيّ عميق الغور، فيه إشارة إلى شدّة الألم الذي يتخلل الذات ، ويجسد مأساتها ، كل هذا جاء مبرزًا من خلال توظيفه لأصوات الحروف ، ودلالة الفعل ، فصوت " العين " و" القاف " جاءا منسجمين مع الدلالة المعجميّة للفعل " قرع " ، ليظهرا ألم الذات ، الذي أفرز شوقًا شديدًا لتلك الأمّ ، جعلته يتمنى عودتها شبحاً ، لأنَّه في قرارة ذاته يعلم باستحالة عودتها جسدًا ينبض بالحياة ، فأخذ يستشعر وجودها من خلال علاقة متخيّلة في ذهنه بين روحها ، والرياح ، فهذه الرياح التي تقرع عليه الباب قد اتّحدت مع روح أُمّه ، التي ما انفكّت تسأل عنه .

---

(١) سيموطيقيا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي : د. عبد الناصر حسن محمد ، دار النهضة العربية ، ٢٠٠٢ : ١٠٨ .

(٢) ينظر : البناء الفني للقصة القصيرة – القصة العراقية نموذجًا : ثائر عبد المجيد العذاري ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥م : ٢٥ .

(٣) اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية ، ١٩٧٠_٢٠٠٠ :د. ناصر يعقوب ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٠٤-١٠٥ .

(٤) ينظر : الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي : رشيد يحياوي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٨م : ١١٠ ، وينظر : سيموطيقيا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي : د. عبد الناصر حسن محمد، دار النهضة العربية ، ٢٠٠٢م : ٣٤-٣٥ ، وينظر : حول مفهوم العنونة : العنوان في الادب العربي النشأة والتطور : محمود عويس، ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٨م : ٥٤ .

تكشف أسطر السيّاب السابقة هذه عن رغبة نفسيّة عميقة في لقاء الأُمّ ، تغلفها أجواء غرائبيّة ، فالذات الشاعرة تعيش في عالم التخيّل الذي سمح لها تمنّي رؤية أُمّها شبحاً ، يحمل قسمات ذلك الوجه الراسخ في ذاكرته .

وتنفتح المخيلة عند السيّاب على صورة مبدعة وظّفت أُسلوب التمنّي لإظهار حاجاتها النفسيّة ، فالذات الشاعرة تتمنى عودة تلك الأمّ ، ولأنَّها تعلم باستحالة عودتها واقعاً ، جنحت إلى التمنّي ، كما أنّها وظّفت الاستفهام لإظهار معاناتها ، فهو يخاطبها " أين أنتِ ؟ " ، ثمّ يعود ويؤكد " أَتسمعين ؟ " ، وهذا له دلالة عميقة في إظهار شدّة القلق والاضطراب النفسيّ ، إنّنا نرى أنّ ذات السيّاب مضطربة ، وهذا الاضطراب بحسب ما تشير إليه دراسات علم النفس ، سببه حرمان الطفل من أُمّه وهو صغير(١).

لقد انطلق السيّاب في تصوير علاقته بأُمّه من الحرمان الذي حوّل حياته إلى ظلام ، ففقده لأُمّه وهو في مرحلة الطفولة كان سببًا رئيسًا في تشكيل ذاته المضطربة، فهو لم يجد الصدر الحاني الذي يعوّضه هذا الحرمان ، ولم تكن لديه القدرة على أنْ يفرض ما يريد ، فقد عاش في عالم خالٍ من النساء إلّا من جدته التي كانت الصدر العطوف الذي عوّضه حنان الأمّ ، فهو تقبّل هذا لأنّه عاش في ظروف نفسية قاسية ، فكانت الملاذ الذي يبث إليه شكواه، وظلم الزمن له ، كل هذا جعله يتوسّل المرأة الحبيبة أنْ تعوضه حنان أمّه ، لذا نجده يقول في قصيدة " خيالك ":

ومالي من الدهر إلّا رضاك

فرحماك فالدهر لا يعدلُ(٢)

(١) ينظر : علم النفس التربوي : د. محمد عبد العزيز عبد ، ط٢، دار البحوث العلمية، ١٩٧٥: ٣٨٥ .

(٢) الديوان ، مج١: ١٥١ .

فهو من يتوسّل بها لتعطف عليه وتعوضه الحنان الذي فقده من أهله ، ففقدان السيّاب لأُمّه وهو طفل صغير جعله شخصًا منطويًا على ذاته ، يعاني حرمانًا شديدًا من الحبِّ والعاطفة ، وقد أكّد علماء النفس أنَّ فقدان الأمّ يعني فقدان الحبِّ الذي تستطيع الأمّ وحدها أنْ تعطيه(١) ، فهذا الحرمان ولّد لدى بدر عقدًا نفسيّة ، جعلت ذاته قلقة منطوية على نفسها ، تعيش في حالة نكوص إلى الماضي(٢) ؛ لأنَّه يجد في الماضي وجه أمّه الذي يساعده على تخطّي الصعاب(٣).

أَمَّا نزار قبّاني فقد عاش طفولة سعيدة في حضن أمه ترعاه ، وتقدَّم له الرعاية إلى أنْ بلغ مبلغ الرجال ، لذا فإنَّ صورة الأمّ عنده عظيمة ، فنجده يؤكد أنّ أمَّهُ ليس لها بديل في حياته ، يقول في قصيدة " خمس رسائل إلى أمّي":

طفتُ الهندَ طفتُ السِندَ طفتُ العالم الأصغر

ولمْ أعثرْ

على امرأةٍ تُمَشِّطُ شَعْريَ الأَشْقَر

وتَحْمِلُ في حَقِيْبَتِها إليَّ عرائسَ السّكر(٤)

تنفتح أسطر نزار هنا على بنية تكراريّة ، أسهمتْ في تجسيد الحالة النفسيّة للذات الشاعرة، إذ نراه يكرر الفعل " طفت " ثلاث مرات ، والتكرار كما نعلم هو:((إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها))(٥)،

(١) ينظر : علم الاضطرابات السلوكية : ميخائيل إبراهيم أسعد ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٧م : ٤٦

(٢) ينظر : بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع : د. أنطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس - لبنان : ٢٨ .

(٣) ينظر : نفسه : ١٦ .

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة، ج١ : نزار قبّاني ، منشورات نزار قبّاني ، بيروت- لبنان : ٥٣٠ .

(٥) قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، ط١٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ٢٠٠٧: ٢٧٦.

القصد منها إبراز الدلالة النفسيّة للشاعر ، ونزار هنا أراد من تكرار الفعل إظهار افتقاده لعاطفة الأمومة ، التي مافتئ يحنُّ إليها ، وكلّنا يعلم أنَّ نزاراً جاب العالم ، وتعرّف على نساء كثر ، لكنّه في خضمّ هذا الازدحام نشعر بأنّه في شوق نفسيّ كبير لتلك المرأة التي تركت أثرًا بارزًا في ذاته ، عكسه من خلال شعره ، فكل نساء العالم لم تعطه ما أعطته له أمُّه من حنان وعطف ، ليس في حاضره فحسب بل حتى في ماضيه ، فقوله : ((لم أعثر)) فيه دلالة زمنية ، فـ " لم " أداة نفي وجزم وقلب ، فهي تقلب دلالة الزمن من الحاضر إلى الماضي، فهو كأنَّما أراد أنْ يشعرنا أنَّه في بحث مستمر عن إمرأة تحمل صفات الأمّ التي لم يجد لها بديلاً .

كما أَنَّ التكرار هنا أحدث إيقاعات نغميَّة خفيفة ، برّزت جمالية النص، لاسّيما وأنَّها جاءت مع الجناس (الهند ، السند) [١] ، فهذا التناغم الموسيقي الحاصل من تشابه الكلمات كلها أو بعض منها واختلافها في المعنى:((يطرب الأذن ويونق النفس ويهز أوتار القلوب))[٢] ، إذ إنَّ : ((تداعي موسيقاه ، وحضور دلالته يكون للإيقاع أثره في تمكن المعنى من النفس المتلقية)) [٣] ، وهو في قصيدته هذه يرسم صورة رائعة لذاته الطفولية التي تعيش في داخله رغم تقادم السنين ، وهذه الذات هي التي جعلته يلحّ على إظهار هذه الصورة ، إذ يقول :

يا أُمّي أنا الوَلدُ الذي أَبْحر

ولا زالَت بخاطرِهِ

---

(١) هنا يسمى الجناس جناس المضارع ، وهو أنْ يأتي بكلمتين لا اختلاف بينهما إلا في حرف واحد مثل (ناضرة، ناظرة) ، ينظر : فنون بلاغية البيان – البديع : د. أحمد مطوب ، ط١ ، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م : ٢٢٨ .

(٢) نفسه : ٢٣٦ .

(٣) إضاءات سردية قراءات في نصوص عراقية : د. فاضل عبود التميمي ، المطبعة المركزيّة ، جامعة ديالى،٢٠١٠ : ١٦٩ .

تَعِيشُ عروسةُ السّكر

فكيفَ .. فكيفَ يا أمّي

غدوت أبًا .. ولمْ أَكبر(١)

تنهض أسطر نزار على بنية تركيبيّة ، اعتمدت أسلوبي النداء والاستفهام ، اللذين شكّلا سمة بارزة تميّز بها شعره(٢) ، وهو في أسطره هذه عمد إلى الاقتراب من الأمّ من خلال ندائها بحرف النداء (يا) ، والذي يعوّل عليه نزار كثيرًا ، لما له من قدرة على إظهار مكنونات ذاته ، فالنداء أُسلوب له قدرة على خلخلة البنية النصيّة من خلال مد الصوت بعيدًا ، وكذلك الحال مع الاستفهام الذي قرّب حالة شعورية خاصّة بالذات الشاعرة , وهي رفضها للواقع المعيش ، والملاحظ أنَّ صراع النفس هنا يتجاذبه جانبان:

– الواقع المرفوض ، وهذا الواقع هو عالم الرجولة ، الذي عبّر عنه بالأبوة فهو أصبح أبًا لكنّنا نراه غير راغب بهذا الواقع .

– عالم الطفولة الحلم ، الذي تبلور في ذات الشاعر إلى رغبة كامنة تظهر إلى عالم الواقع من خلال أشعاره ، فهذا الرجل ما زال يشعر بعالم الطفل يعيش بداخله، ولذا نراه في حيرة دفعته إلى التساؤل والاستفهام فكيف لهذا الطفل الكبير أن يكون أبًا .

لقد كتب نزار هذه القصيدة بعد زواجه ، إلّا أنَّه كان يشعر بأنَّه لمّا يزل طفلًا ، فصورة الذات تشكلت من خلال علاقته بـ أُمه وما تحمله من عطف ، وحنان لذا نجد أنَّ تلك الصورة بقيت راسخة في قلب الشاعر، وهي عامل أساسيّ في تشكيل

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ج١ : ٥٣٠_٥٣١.

(٢) ينظر : شعر نزار قبّاني السياسي دراسة نقديّة : حيدر فاضل عبّاس الحميري ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ٢٠٠٧م : ٤٧- ٦٥ .

ذاته الطفوليّة ، التي استمرّت معه حتى آخر أيّام حياته، ونزار كان دائم البحث عن امرأة تشابه أُمه في حنانها ، لذا نراه يتمنى العودة إلى رحم الأُمومة ، فنجده يقول في قصيدة " هل تقبلين أن تكوني أمّي" :

أشعرُ برغبةٍ قويّة

للعودةِ جنينًا إلى رحمِ أُمومتِك(١)

كشف الشاعر عن ارتباطه الروحي بأُمّه من العنوان ، فالعنوان هنا يحمل دلالة تشير إلى مستوى الارتباط الروحي مع الام ، الذي ولّد لديه عطشًا دائمًا تجاه وعطفها، وحنانها ، فهو لا ينفك ينشد المرأة التي تقترب من شخصية أُمّه ، ولذا نراه يعيش حالة من الحبّ السرمدي لتلك العلاقة الروحية التي جمعته مع تلك الأمّ .

إنَّنا نجد أنَّ العنوان هنا شكّل دالة ، فهو لم يعد عتبة يقتحم بها أسوار النص فحسب ، بل نراه يعمل على وفق علاقة الانفصال ، ومن جانب آخر نراه يتصل ويتشظى مع النص ، إذ نجد أنَّ رغبة نزار في أنْ تكون المرأة التي أمامه أمًّا له جعلته يوغل في عالم الأحلام ، ويتمنى العودة جنينًا إلى رحم الأمومة تلك الرغبة التي استمرت ملازمة لحياة الشاعر حتى اواخر حياتهِ ، لتؤكد لنا أَنَّ تعلق الشاعر بأُمه لهُ دوافع واسباب تتعلق بمرحلة الطفولة ، ولذا نجد أَنَّ ذات الشاعر ظلت تنشد الامومة في كل امرأة تقابلها ، فهو يؤكد أَنَّ مطالبهُ تجاه المرأة لم تتغير ، فيقول : ((لا ازالُ ابحثُ عن أُمي في كل امرأة أُقابلها))(٢) ،وعندي أَنَّ هذهِ الرغبة تمثل أَعلى درجات الانتماء المريض الى الأُم ؛ لأَنَّ الشاعر فيها كان على درجة عاليه من النرجسّية، فهو ينظر إلى المرأة من زاوية احدة يحاول من خلالها ارضاء ذاته، ولا يبالي بمشاعر المرأة ورغباتها .

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ،ج٩ : نزار قبّاني، ط١ ، منشورات نزار قبّاني ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٢م : ١٨٦ .

(٢) الاعمال النثرية الكاملة ، ج٨ : نزار قبّاني ، ط١، منشورات نزار قبّاني ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٣: ٦١٣.

ممّا لاشكّ فيه أنَّ هناك ترابطًا بين الألفاظ في مدلولها المعجمي ، والتركيبي، فمن المؤكد أنَّه : ((حين تشيع ألفاظ معينة في قصائده ، فإنّ ذلك يعني أنّ جوًّا شعريًّا يهيمن على شعره))[١] ، وعلى وفق ذلك فإنّه يمكن القول إنّ لغة نزار هنا كشفت عن مدلول نفسي عميق يؤكّد تعلّق ذات شاعره بالأُمّ ، ذلك أنّ : ((اللفظ قبل أنْ يولد من فم الشاعر تكون له أبعاد غائرة في نفس مُنشئهِ ، فالإبداع بقدر ما هو مرتبط بالشعور لحظة ولادته ، فإنّه كذلك مرتبط بالدرجة نفسها وبالمقدار نفسه باللاشعور، الذي كان الحاضنة التي مهّدت لهذه الولادة)) [٢] ، هذا يعني أَنَّ لغة نزار هذه ترتبط بطريقة تكشف عن طبيعة العلاقة التي تربطه بأمّه ، والتي بدأت منذ المرحلة الجنينيّة أي مرحلة ما قبل الولادة ، ولهذه المرحلة أثرٌ مهم في فهم الشخصيّة[٣] ، فهذا الإصرار على استدعاء الطفولة يشير إلى رغبة داخلية للانفلات من الحاضر ، بالعودة إلى الماضي ، فالرغبة بالعودة إلى رحم الأمومة هي في الأصل رغبة بالتخلص من ضغوط الواقع الصعبة ، أي أنَّها ردّة فعل من الحاضر الذي يحاصر الإنسان بمشاكله ، لذا فإنَّ إصرار نزار على العيش ضمن عالمه الطفولي ما هو إلّا : ((طوق النجاة يتمسك به كلّما عصفت الريح واضطربت أمواج الحياة)) [٤]، من هذا نجد أنَّ عودته إلى أمّه كانت رغبةً عارمةً تختلج في صدر نزار، فهو يقول في القصيدة نفسها:

عِندمَا يَأْتي أيلول

أَشعرُ برغبةٍ طفوليّةٍ قَاهِرَة

---

(١) شعر نزار قبّاني السياسي دراسة نقدية : ٢٦ .

(٢) نفسه : ٢٦ .

(٣) ينظر : الأمراض النفسيّة والعقليّة والاضطرابات السلوكيّة عند الأطفال : ٣٥ .

(٤) النرجسيّة في أدب نزار قبّاني : ٩٤ ، وينظر : نزار قبّاني والقضية الفلسطينية : ميرفت الدهان ،ط١، بيسان للنشر والاعلام ، ٢٠٠٢م : ١٩٣ ، وينظر: الشعر السياسي في أدب نزار قبّاني : خريستو نجم ، م حوليات،ع١٠ ، جامعة بلمند ، لبنان، ٢٠٠٠.

للاختباءِ في تجويفِ يَديكِ الصَّغيرتين

وتمزيقِ كلّ الجوازاتِ المزوّرةِ التي أَحْملُها

والعودة إلى أصلي(١)

فرحم الأُمّ هو الأصل ، وهو النقطة التي بدأ وانتهى عندها ، وإذا علمنا أنَّ نزاراً كتب هذه القصيدة عام "١٩٩٢م "، أي قبل وفاته بثمان سنين ، لعلمنا أنَّ هناك رغبات طفوليّة كامنة في اللّاوعي تظهر كلما تقدم الشاعر في السن ، فهذا التقدم يقوي الغريزة الطفوليّة ولا يضعفها(٢) ، وأنَّ: ((الارتداد الطفولي عنده متمثل في غير صوره , كما في قوله (عائد إلى سرير ولادتي)))(٣) ، والملاحظ أنَّ نزاراً أقام قصيدته معتمدًا على الفعل ؛ وذلك لأجل ضمان الديمومة والحيويّة لنتاجه .

إنَّ تعلّق نزار بأمّه ، نتيجة عاطفة قويّة غمرته بها أمّه التي كانت حاضرة في كل وقت إلى الحد الذي يصعب عليه فيه التأقلم مع أية امرأة أخرى ، الّا إذا كانت أُمًّا قبل أنْ تكون حبيبة ، فهاجس الطفولة هنا نابع من وضع صحيّ(٤) ، كما إنّ نزاراً الذي عاش في رعاية أُمّه وشَبِعَ من عطفها وحنانها هذا جعله ينشد الأمومة في المرأة الحبيبة فهو يريد منها ، أنْ تلاعبه وتحاكيه وتصطبر على حماقاته، وهو عندما وجد المرأة الأُم شهد لها بهذا ، حين قال في قصيدة " أشهد ألّا امرأة إلّا أنت":

أشهدُ أنّ لا امرأةً أتقنت اللعبة إلّا أنتِ

واحتملت حماقتي عشرةَ أعوام كما احتملتِ

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج٩ : ١٨٦ .

(٢) ينظر : النرجسية في أدب نزار قبّاني : ٥١ .

(٣) نزار قباني والقضية الفلسطينية :١٩٣ .

(٤) ينظر : النرجسية في أدب نزار قبّاني : ٥٦ .

وقلّمت أظافري ورتّبت دفاتري

وأدخلتني روضة الأطفالِ إلّا أنتِ

أشهدُ أنَّ لا امرأةً تعاملت معي كطفلٍ عمره شهران

إلّا أنتِ

وقدّمت لي لبن العصفور والأزهار والألعاب إلّا

أنتِ(١)

يمنح العنوان " أشهد الّا امرأة إلّا أنتِ " شحنات دلالية ، تتجه نحو الذات ، لتمور فيها معلنة رغباتها ، من خلال تشكيلة لغويّة تستمد أنساقها من تعاضد البنية التركيبيّة ، والمعجميّة ، والعنوان بوصفه: عتبه تتيح لنا قراءة دلالته المتجه نحو النص ، فالعنوان هنا تشظت دلالته إلى داخل النص ، وهو كان من الطول ممّا ساعد على توقع دلالة المضمون(٢) ، وبهذا جاء العنوان هنا:((بؤرة يتناسل منها النص)) (٣) ، فهو متداخل مع النص ، إذ تكرر ذلك العنوان داخل النص أكثر من مرّة ، وفي كل مرّة كان يحمل دلالة جديدة توضح أسباب شهادته لهذه المرأة ، مرّة لأنّها أتقنت لعبة الحياة عند نزار ، ومرّة لأنّها تعاملت مع الذات الطفولية للشاعر ، وأخرى لأنّها جعلت طفولة الشاعر تمتد للخمسين ، فالعلاقة بين العنوان والنص أخذت مستوًى جديدًا من الدلالة ، ففي النص أكثر من شهادة تولّد من خلالها أكثر من معنى .

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج٢ : نزار قبّاني ،ط٧، منشورات نزار قباني ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٣م: ٧٤١-٧٤٣

(٢) ينظر : السميوطيقا والعنونة : جميل حمداني ، م. عالم الفكر ، ع٣ ، مج٢٥، الكويت ،١٩٩٧م : ١٠٧ ، وينظر: العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي دراسات ادبية ، د. محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م : ١٠ .

(٣) اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية : ١٤٧ .

لقد رسم الشاعر صورته الشعرية بدقة مستعينًا بمجموعة من الأساليب البلاغية التي كانت عاملًا قويًّا في توضيح مكنونات الذات وإبرازها ، منها : التوكيد بالقصر ، والتكرار ، ونحن نعلم أنّ للقصر جمالية بلاغية تساعد على تأكيد المعنى في ذهن القارئ ، والشاعر هنا عمد إلى تكرار هذا الاسلوب ؛ لأنّه يريد تأكيد أحقية هذه المرأة وإبراز دورها ، أمّا التوكيد فإنَّ نزاراً صاغه بأسلوب النفي والاستثناء ، لما له من وقع على نفسية القارئ ، كما إنّه استعان على رسم صورته بالتكرار[١] ، والمعروف أنَّ ((اسلوب التكرار يحتوي على كل ما يتضمنه اي اسلوب آخر من امكانيات تعبيرية أنه في الشعر مثله في لغة الكلام يستطيع أنْ يغني المعنى ويرفعه الى مرتبة الاصالة)) [٢] ، وقد عمد نزار إلى تكرار جملة " أشهد ألّا امرأة إلّا أنت)" أكثر من مرّة ، وهو تكرار بليغ ساعد على إظهار رغبة الذات في الحصول على " المرأة ، الأمّ" ، وقد كرر العبارة " اثنتين وعشرين " مرّة ، في كل مرّة كان يظهر صورة جديدة للمرأة ، لكنها جميعها جاءت لتمجد صورة المرأة التي استطاعت أنْ تملأ الفراغ الذي تركته الأمّ في ذات نزار ، إنَّ هذا التكرار جاء متناسبًا مع قيمة وجود هكذا إمرأة في حياة الشاعر ، فهو ضميره ، ولذا فنحن نرى أنَّ تكرار نزار لهذه العبارة جاء متناغمًا والحاجة النفسيّة التي تختلج ذات الشاعر .

لقد كتب نزار هذه القصيدة عام ١٩٧٩م ، أي بعد زواجه الثاني من بلقيس الراوي بعشر سنين ، وهو هنا في قمّة الرضى عن زوجته بلقيس ، لأنَّها اشبعت غريزته الطفولية ، وكانت له أُمّاً أكثر ممّا هي زوجة ، إنّه يطلب الأُمومة والحنان ، فليست كل النساء مقرّبات عند نزار ، وترى الباحثة هذا هو سبب فشل زواجه الأوّل ، فكل امرأة لا تستطيع أنْ تؤدي هذا الدور ، فهي بعيدة عن قلب نزار ، وعن وجدانه ،

---

(١) ينظر : أساليب بلاغية الفصاحة – البلاغة- المعاني : د. احمد مطلوب، ط١، جامعة بغداد ، ١٩٧٩-١٩٨٠: ٢٣٤-٢٣٩ .

(٢) قضايا الشعر المعاصر : ٢٦٣ .

والمرأة التي يريدها نزار هي التي ترتّب دفاتره وتتعامل مع نزار الطفل لا الرجل فتعطيه الأقلام، والرسوم، واللعب[١] ، ولذا فإنَّه يناشدها :

احكي لي قصصًا للأطفال

اضطجعي قربي، غنيني[٢]

إنَّنا نجد أنَّ ذاته تمور في عالم الطفولة ، لتمتاح منه صورًا تعيدُ لها الصفاء الروحي وتخلصها من آلام الواقع المرير ، لذا نراه يدور في فلك أُمّه ،ولا سيما في مرحلة مرضه وفقدان ولده[٣] ، وقد أشار خريستو نجم إلى أنَّ هذه المرحلة من عمر نزار قبّاني تمثل المرحلة الاوديبية[٤] .

أكّد نزار أنَّ الحبَّ الحقيقي حصل عليه من أُمّه فقط ، ففي قصيدة " أم المعتز" يقول :

كلُّ النساء اللواتي عرفتهنَّ

أحببنني وهنَّ صاحياتْ..

وحدها أُمي...

أحبّتني وهي سكرى

فالحبُّ الحقيقي هو أنْ تسكرْ

---

(١) ينظر: الأعمال النثرية الكاملة : ج٧ : نزار قبّاني ، ط١، منشورات نزار قبّاني ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٣ : ٥٤٣.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة : ج٢ : ٣٩ .

(٣) ينظر : النرجسيّة في أدب نزار قبّاني : ٥٢ .

(٤) ينظر : نفسه : ٥٢-٥٣ .

ولا تعرف لماذا تسكرْ(١)

يشكّل العنوان " أمّ المعتز " ثيمة تنفتح على مكامن الذات ، التي تتنازعها رغبات تتنقّل بين النرجسيّة تارة ، وبين أحلام الطفولة تارة أخرى إذ أَنَّ إضافة الاسم النكرة " أمّ " إلى المعرف بـ " ال " _ المعتز _ أعطى للعنوان علامات إيحائية بين العنوان الحاضر ، والآخر المنسدل وراء ستارة الماضي في إشارة تناصية مع ثقافة اجتماعية سائدة في العصر العباسي ، إذ تلقب أمّهات الخلفاء بـ " أمّ الأمين " و " أمّ المأمون " ، لإظهار العظمة والهيبة لأمّ الخليفة، وهكذا نجد أنّ هذا التناص أظهر لنا من خلال التأويل صورة قوية للذات اقتربت من النرجسيّة ، ففيها تعظيم واضح للذات من خلال رسم صورة الأمّ ، وهكذا فإنَّ العنوان هنا أصبح دالة عميقة يمكن الوقوف عندها لفهم ذات الشاعر ، ثم إنَّنا نجد أنَّ دلالات العنوان لها ومضات واضحة داخل النص ، فالشاعر جعل " أمّ المعتز " جزءًا من ثقافة الشام ، إذ قال :

فهيَ جزءٌ من الفولكلور الشامي

وأهميتها التأريخية لا تقلُّ عن أهمية (قصر العظم)

و(قبر صلاح الدين) و (مئذنة العروس)

ومزار (محيي الدين بن عربي) (٢)

فتلك العلاقة التناصية في العنوان ، تشظت دلالتها إلى داخل النص ، لنجد أنّ ذات الشاعر جعلت مكانة تلك الأمّ أقرب إلى الإرث الثقافي الشامي ، إذ إنَّ جمال طبيعة الشام متجسد في بيتها ، وبيتها كان مقراً للاجتماعات السياسيّة ، ففيهِ توضع خطط المقاومة ، والمظاهرات ، والاضطرابات(٣)، من هنا نجد أنّ العنوان تعالق مع

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ج٢ : ٧٣٢ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج٢ : ٧٣١ .

(٣) ينظر : الاعمال النثرية الكاملة ، ج٧ : ٢٠٩ .

Abstract

This study, which is focused on the study of the reflection of personality on literary works, has taken a great deal of literary studies during the modern age. It was a result of many tokens that try to find a relation between soul and literature. The first one referring to this relation was Aristotle (23 B.C) in his book **The Art of Poetry**.

It is certain that comprehending all the angles of a genius personality imposes the study of its product in more than one perspective or method like psychological and social perspectives because the life of a literary figure is a combination of different psychological and social factors. All these factors will crystalize his / her personality.

The following dissertation contains an introduction, three chapters, then a conclusion.

The introduction has dealt with self, its concept, characteristics, and theories. The first chapter which is entitled "Self-image in the Beginnings of the Two Poets", was sub classified into two sections. The first section dealt with the self-image in the childhood of the two poets. The study found that there are three prominent factors that affected the self-images of the two poets, namely "father, mother, childhood places". The second section dealt with self- image in adolescence and youth through body formation which has a great deal of effect on drawing the self-image.

The second chapter "Passion and Self-image" was classified into three sections. The first section dealt with women love and self-image. While the second section dealt with joy as a shining self-image. The third section dealt with death fear and sadness as self-depressing.

The third chapter, which is entitled "Homeland and Self-image", was classified into three sections. The first section dealt with exile and scattered self-images. The second section dealt with political defeats and self-defeats. While the third section dealt with the two selves and homeland solicitude.

The study conclusion has stood on some important results. The most prominent conclusion was the effect of childhood on drawing the self-images of the two poets. Childhood a lot to do with the formation of the two self-images. Pain has played a great role in the life of them because it made the two selves suffer from disorder, pain and scattering. The first poet "Assayab" started his life with deprivation. His mother passed away when he was six years old. This created a sense of deprivation that made him unsociable. While Qabbani's mother has devoted her time to look after him. This made the poet's self-image have the desire to play the role of an indulged child in all his lifetime. Moreover, this made the poet's self treat the woman with great narcissism. The study has found that the self could not adopt with woman easily because of the effect of motherhood over love.

Physical appearance also has a great role in building the self-image. Assyab's appearance, who was not handsome, made him feel inferior and underestimate himself, while Qabbani was handsome and made him over estimate himself.

Death has a prominent effect on the poets' mentality. The study has found that it was the most prominent motive of sorrow in the life of the two poets. Though exile was the destiny of the two poets, the images they draw for exile were different. Assayab showed his anxiety and sorrow while Qabbani showed bragging narcissism. To Qabbani place did not create an obstacle of exile if the conditions of the freedom he wants have existed. The

two selves showed an apparent defeat because of the defeats that the nation suffered from.

Researcher

Yasameen Ahmed Al Anbagi